الرأي, زوايا, رفيف

2 أبريل 2023 00:03 صباحا

ما هو روحاني في كوميديا دانتي

الكاتب

يوسف أبو لوز

قرأت «الكوميديا الإلهية»، أحياناً، بمستوى الأسطورة، وفي مرات أخرى بمستوى الحكاية، وفي مرّات أخرى للبحث عن اللغة التي تتصل بالحب، وفي جميع مستويات القراءة ـ إنما نحن نقرأ – أدباً إنسانياً صافياً حياً في الذاكرة البشرية منذ مئات السنوات، ولكن هل خطر ببالك أن تقرأ الكوميديا بمستوى روحاني، أو أخلاقي، أو قل على نحو ما.. مستوى ديني – مثلاً.

أولاً، قد يشعر القارئ بنوع من التناقض بين الاسم «الكوميديا»، وبين المضمون الذي هو ملحمي، تراجيدي، ثم إن مصطلح الكوميديا يحيل إلى الضحك أو الإضحاك، فيما دانتي في كتابه هذا يتنقل من مأساة إلى أخرى.. المطهر، الفردوس، الجحيم،.. فكيف هي كوميديا؟ الجواب نجده في مقدمة حنا عبود، فهو يقول.. «نأمل أن يتذكر القارئ دائماً عنوان هذه الملحمة وهو «الكوميديا» أي السخرية من سخافة النظرة المتعصبة المغلقة التي كانت تسود عقائد العصور الوسطى.

إذاً «الكوميديا» هنا بمعنى السخرية، الضحك سخرية مما هو متعصّب، ومغلق السخرية من البابوية السطحية في زمانه انسجاماً مع موقفه الديني والسياسي، وسوف يدفع الثمن، حيث سيجري نفيه خارج فلورنسا، وهو محمّل بثقافة «مرعبة» في الأسطورة، والفلسفة والأديان.

ماذا يقول دانتي عن الخالق وعن المخلوق؟

«يا بني/ لا الخالق ولا المخلوق يكون بلا حب/ طبيعي.. حب عقلي/ وأنت تعرف هذا/ الحب الطبيعي لا يرتكب خطأ/ الحب العقلي الموجه يخطئ إما بالهدف/ أو بالحماسة/ الشديدة أو الخفيفة»، ثم يقول: «فأفهم أن الحب وحده/ هو البذرة الحقيقية لكل مناقبك».

يقول دانتي: إن الحب ومن أخواته «المحبة»، والمحبة تحيل إلى ما هو إنساني شمولي. محبة الله. محبة الأهل. محبة الصديق. محبة العائلة. محبة الأب. محبة الأم. وقس على كل ما هو جميل. يقول دانتي: إن هذه المحبة في الإنسان

غريزية تماماً مثلما تنبثق داخل النحلة غريزة صنع العسل.

الإشارات الإيمانية عند دانتي في الكوميديا كثيرة وعديدة، وتحيل إلى روح شفافة نقية عند شاعر حي بوجدانه الإيماني إلى الآن يقول: «كنت أنت المصباح الذي أخرجني من الليل، أنت جعلتني أشرب المياه البرناسية، وعلى طريق الرب أوقدت لي نوراً». ويقول: «على يديك شدوت، ودخلت الإيمان، أنت تعرف كل شيء. ولكن دَع يدي تمتد لترسم بالتفصيل ما كنت أوجزته. كان العالم وقتها متخماً بولادة الإيمان الحقيقي، الذي بذره الرسل الذين أرسلتهم المملكة الأبدية».

.كل شاعر حقيقي، كبير ونبيل في داخله إيمان وطمأنينة وطريق إلى الله

yabolouz@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©